

فَنَاءُ مَصْرِ الْفَنَاءِ

مجلة أدبية علمية اجتماعية شهرية

السنة الثانية

ديسمبر سنة ١٩٢٢

العدد التاسع

حيويات

مختار من

ابدسامة لكل مختب (١)

أدع إلى النهاية، وقد تفرحت الجفون، وكادت العين تنشى ولا ترى، وكان بالنفس بحر دموع عميق يجري ويفيض ولا تائق. فنبكي ناحيين ونبلس تلك الآونة القصيرة التي تفصل شروق الشمس عن غروبها بدموع القنوط وزفرات اليأس !!

عظيم أن ندوزن أوتار القلب لألحان الحزن وأنين اليأس الذي يتردد في الجوار المحيط بنا ولكن تكاد تلك الأوتار تنقص بشدة توترها بالألم، وكأنتنا لا ندرى تناقضها، من أوتار حزن وألم ويأس ومرارة وكآبة لأوتار طرب ولذة وأمل وسعادة، فنندق على الأولى حتى يملو نجيبها الأليم

(١) هنا مقال مقابل لمقال الأنة ليديه حين المنشور بالعدد الماضي وعنوانه

« دمة لكل بائس »

ويصمنا عن نشيد الثانية البيهيج

قد تكون الحياة مقشبة بما زق البؤس الذي تمسس الروح في ظلماته
ولكنها أيضاً مزدانة بوادى الاغتباط المغمور بنور الأمل وبهائه
نحسب آلهة الحظ عمياء توزع سعدها ونحسبها بدون مساواة ، وتمجز قلوبنا
من أن تبسط أجنحتها وتخلق في السماء لئرى أن لكل نصيباً ينتبط به ،
ولكل أملاً يهنا به

قد تمررنا ان نطأ طيء الجسم لتسخته المتاعب بثقلها وندير الوجه دون
المسرات فلا نراها ولا نفرح بها

نبكى وأشكو ونتوق الى البعيد وأيدينا محملة ولا نستطيع أن نحمل
المزيد ننظر الى الثرى الذي تحت أقدامنا ولا ننظر الى السماء لئرى
الثريا فوق رؤوسنا نذهب الى الشوك فتقبضه وتنحى عن الورد
فلا نستشقه نخور تحت مخاوف الليل البهيم ويفوتنا ضياء الحياة
البيهيج نتجرع الكأس المرّ بامتعاض ونذب الكأس الحلو بامتزاز
نمرّ بالحدائق والزهور لنبكي على رفات القبور ننظر الى الوراء
فنبكي على مسرات دفنت في ثنايا السنين وننظر الى الامام فترتعد امام
مخاوف عتيبة أن تكون ونسى الحاضر المملوء بالابتهاج والحبور
لنا أن نحيا وأن نموت وأن نضحك وأن نبكى وأن نحب وأن نكره
وأن نرف العروس وأن ندفن الموتى ولكننا كالتفاح نحس بظلمات الحياة
ونأبى أن نتقبط بنورها

نبكى ونذرف الدمع بسخاء ولا نبخل بعبراتنا على البؤساء حتى ملئت
قوسنا السهاد والبكاء وصدأ شبابنا بالنحيب والاكتئاب وما الدمعة

للبنائس ، الا لإضفاف همته . . . ولو جعلناها ابتسامة لصار يؤسه فتساعة
يعايرها الهواء . . . فبالا ابتسامة تمسح الدموع ويتجدد المتألم ويطمئن المريض
ويهدأ القلب ويتزى الحزين . . . فبذل دمة باطلة لماذا لا نبني مظلة تحتمي
تحتها الارواح ، ونخيط ستراً نستر به الاجسام ، ونطهي غذاء تشبع به الجياع ،
ونفجر ينبوعاً تزوي منه النفوس ، ونقيم مأوى يلتجئ اليه الشاردون . . .
قالوا ان المرأة خلقت للنواح والبكاء والرجل للعمل وللجهاد ولو نظرنا
حولنا لوجدنا في كل شيء ما يدعو لا ابتسامة النساء . . .

فابتسامة لدمعة العروس وهي تودع منزل أبيها وقد توج رأسها تاج
البريق كأنه اكليخ بركات حليتها الجديدة . . . ابتسامة لسلك ناقوس
يدق ومؤذن يؤذن فيذيع صوته في الجهات الاربع ويحدث بأن الله أكبر
فتهتز الازهار واوراق الاشجار ويصفر الريح وبهاس في الآذان بأن الله
في سمائه تغير بعباده . . .

ابتسامة للمظلوم وقد انصف . وللمتلوب وقد انتصر . وللمعبود وقد
تحرر . وللمرذول وقد جبر . وللحزين وقد تمزى . وللمريض وقد شفي
وللجاهل وقد تعلم . وللمضطرب وقد اطمن . . .

ابتسامة لهواء الارض ولنورها وللمأمل ولهباء قرها الشاحب وصحو
قبتها الزرقاء . . .

ابتسامة لسلك فتاة تبسم لصورتها في المرآة ويتفنى دمها ببهجة الحياة
وقد تسربت بحمال الشباب فسرقت شعرها من ظلمة الليالي الليلية وعينها
من نجوم السماء . . .

ابتسامة لسلك عصفور شارد يستيقظ مع بزوغ الشمس وينود بملء

ما في قلبه الصغير أغنية الابتهاج والتسبيح لاله لا يداء بقوته ولا
يعمله بعنايته

ابتسامة لكل طفل يضرب برجليه ويصفق بيديه ويصيح ويلعب
وينغمي ويحادث القمر ويحاول القبض عليه ويضاحك الطوب ويضعه في فمه . .
ابتسامة له وهو في مهده يتسم للملائكة التي تحرسه في نومه ويستكن
لهدهدة أمه وكأن الآلام تكون هالة حول رأسه

ابتسامة لكل صباح جديد عندما تنشق أشعة نوره وتسر الأرض
فتطهرها من اباطيلها . وتقبل جنون الاطفال والازهار فتوقظها من نومها .
ابتسامة لغروب الشمس وقد خيم سكونه على الحقول والمجاري
وكساها بحباله وسلامه ودعا الابل لتترك على الرمال ترفع عنها احمالها
ونادى النفس لترجع ايام الخالق ليخفف عنها اثقالها

ابتسامة لقلوب يفتح اريج ولائها كبخور تسبيحات المساء وتثبت
كشبات الافلاك في مداراتها فلا تحيد عن النوا

ابتسامة لقلوب وديرة هي بلم القلوب الدامية . ولقلوب تهمل
بالتواقة البهية . ولقلوب عميقة هاذئة جديدة ولقلوب كأقحوان الحقل ناصمة
الصفاء . ولقلوب كدوار الشمس ترقب السماء بانتظار ونحرق بالآمال الحية . .
ابتسامة لكل عين تلمب فيها لمة السرور والرضاء وتضيء بنور
وضعه فيها الخالق لتبصر بهاء الاشياء وابتسامة لكل اذن حساسة
تو-يقى الكون وتنبأ السماء

ابتسامة لكل نحلة عاملة ترشف رحيق الازهار غذاءه ولكل زهرة
تكشف لنا اسرار الحياة وتمايل اغتباطاً . ولكل عرق يتصبب به جبين

العامل بأمانة . ولكل حياة طاهرة ونقية ولكل أم تحيط الملابس وتهيء
المهد بأمال حية

من يقول ان العالم وادي دموع وظلمات !! فالنحل والطير والزهر
ينفي ذلك ويقول انه عالم غبطة وهناء وسرور يتألق بهريق الابتسامات

أعلى

بين المقابر

أذنت نجوم الليل بالنيب وتسلل النور يمزق حجب الظلمات وقطع
الصمت المطلق آذان المؤذن وصياح الديكة وبدأت علامات الحياة والحركة
تدب في الموجودات رويداً رويداً وإذا بجموع تهر الطريق على غير ما هو
مألوف في مثل تلك الساعة من مطلع النهار من شيوخ وعجائز وفتيان
وفتيات وصبية وصغار . فالى أين يقصد هؤلاء الجاذبون في سيرهم وعليهم
سجاء التلهف والشوق والحنين ؟ فنوا أسائلكم جميعاً فاعلمكم مولون وجوهكم
شطار القبلة التي وليت وجهي شطرها . اذن فيها يرافق اخيا بنا نمجل
نحو الديار العالية والبقاع المقدسة اهبنا الى مشوى الأعراف اهبنا الى المقابر
نتبض فيها باشجاننا ونفضى اليها بكمكون آلامنا ونذرف على جوانبها
حار دموعنا هاهي الديار فسلام على ساكنيها جللها الصمت فلنقف متهيئين
وسط هذا الجلال الرهيب . وخيمت عليها الوحشة والروعة . فهل يصل صدئ
أصواتنا ليؤنس المستوحشين في ظلمات القبور من سادة وعبيد وشيوخ